الفصـــــل الأول

(فلاش باك)

"جلس "ماضي" على الحجر الكبير الموجود تحت شجرة "الفيكس"، التي كان يجلس تحتها هو و "شكرات"، وهما يأكلان ساندويتشات الفول والفلافل قبل أن يذهبا إلى الشركة التي كانا يعملان بها، ثم أغمض عينيه، وكأنه يرى فيلمًا سينيمائيًا يمر أمام عينيه، فيتذكر كل الأحداث التي مرت في الماضي مع "شكرات" منذ أن تعرّف عليها من خلال الجامعة، والعمل معًا كمندوبي مبيعات لإحدى الشركات، وكيف جمع الحب بينهما".

كان "ماضي" يعمل مندوب مبيعات لإحدى شركات الملابس بالقطاع الخاص، والتي تعلن عن منتجاتها من خلال مندوبي المبيعات بالشركة.

في هذه الفترة كان يرتبط بعلاقة غرامية بفتاة اسمها "شكرات"، كانت فتاة جميلة، ممشوقة القوام، ذات عينين ساحرتين وأهداب طويلة، خمرية اللون، متوسطة الطول إلى حد ما وخصرها نحيل.

- طعم الأيام المُرّ حلو بوجودك.

* وماحدّش ممكن يحلّي أيامي غير انت يا ماضي.

- انتِ شِريكة عُمري وشُغلي، انتِ حتى بتشاركي قلبي في النبض اللي بينبض بيه.

* ربنا مايحرمنيش منك يا رب يا حبيبي.

هكذا تذكّر "ماضي" ما كان يدور بينهما في هذا التوقيت.

كانت هذه الفتاة تصغره بسنتين، من أسرة جذورها صعيدية، من -الصعيد الجواني-، كما يقال على بعض من محافظات الصعيد، هذه الفتاة كانت أيضًا خريجة نفس الكلية التي تخرّج

فيها ماضي، وهي كلية التجارة جامعة عين شمس، ولكن بعده بدفعتين.

أما في هذه المرحلة العمرية الأخيرة، -والتي تدور فيها الأحداث الحالية للرواية-، بعد أن تزوّج "ماضي" زواجًا تقليديًا مما يقرب من ستة عشر عامًا مضت من "ميرفت" صديقة أخته الصغرى " أمل "، وأنجب منها بنتان وولد، وكانت أعمارهم:

نور ١٥ سنة - وأحمد ١٣ سنة - وملك ١١ سنة .

فالأبناء جميعًا كانوا في المرحلة الابتدائية والإعدادية بمدرسة خاصة، ونظرًا لأن الزوَاج كان زواجًا تقليديًا كانت الحياة بينهما تسير في منحنى، -صعودًا وهبوطًا- غير مستقر؛ لأن زوجته "ميرفت" كانت دائمًا تريد إبعاده عن أهله، وبالفعل قد نجحت في أن تستأثر به لنفسها بعيدًا عن أهله ومسقط رأسه؛ مما أوجد بينهما الكثير من الخلافات، ووجهات النظر المختلفة، والفتور العاطفي من ناحيته، ومن جهة أخرى كان هناك شبح الماضي الذي كان يطارده، وهو شبح "شكرات" الفتاة الصعيدية التي أحبها في بداية شبابه،

والتي اختفت فيما يقرب من خمسة وعشرين عامًا قد مضت.

فهي كانت في ذلك الوقت تعيش بمنطقة قريبة إلى حد ما من مسقط رأس حبيبها "ماضي"، والتي عشقته بجنون.

_ تفتكر لو كانت "شكرات" اللي مكان مراتك كانت هاتعمل زيها؟

* مش عارف.

_ انت لسّه بتحبها؟

* مش عارف.

_ انت عارف بس بتحاول تتأقلم على الوضع اللي انت فيه.

* مش عارف.

وهكذا دار الحوار بينه وبينه، سارحًا حاملًا هموم الدنيا فوق كتفيه.

كان هناك صراع دائم يعيش فيه "ماضي"، وهو المشاكل الزوجية التي بينه وبين زوجته الغيورة المتسلطة، التي كانت تزداد حدّتها كل يوم، وبين ضميره الذي كان يؤنبه ليلًا

ونهارًا؛ بسبب غرامه القديم "شكرات"، التي اختفت في ظروف صعبة وغامضة إلى حد ما.

كان "ماضي" من كثرة المشاكل الزوجية يهوى كثيرًا الجلوس والبقاء أكبر وقت ممكن بمحل الملابس الذي يملكه فى حي راقٍ بوسط البلد، فكان دائمًا يشغل نفسه بالبحث عن أرقى الموديلات من خلال شبكة الإنترنت، والمواقع المتخصصة في الملابس والأزياء.

في خلال هذه السنوات التي تتوالى فيها السنة تلو الأخرى، ومنذ أن اختفت "شكرات"، والتي كانت تتابع أخباره في السنوات الأخيرة فقط من خلال صديقتها "نوسة"، وهي في نفس الوقت ابنة خالتها، وكانت تعلم بقصتها مع "ماضي"، كما كانت أيضًا تعرّف الكثير من الأسرار، وكل الأحداث التي مرا بها في الماضي البعيد، كما سنعرف من الأحداث فيما بعد.

في ذات ليلة، وبعد أن خرج "ماضي" كعادته من المحل متأخرًا، ذهب ليسهر فى إحدى الكافيهات مع صديقه "فؤاد"

- صديق عمره-، الذي عَلمَ أنه متواجد هذا الأسبوع في القاهرة، فهو متزوج من زميلة له أحبها أثناء دراسته الجامعية اسمها "منال"، وكانت أشهر قصة حب يعرفها الأهل والأصدقاء، وجميع الزملاء، وهم في السنة الثانية بكلية التجارة، وأنجب منها ولدًا اسمه "عمر"، وبنت اسمها "لبنى".

رجع "ماضي" إلى البيت بعد الفجر، فوجد زوجته المتسلطة "ميرفت" فى انتظاره، وهي ثائرة وغاضبة، وبعد أن رأته كأن البيت قد اشتعلت فيه النيران من كل جانب، وكأنه شجار في مقهى بلدي نتج عنه تكسير، ثم تبادل بالألفاظ الفجة فيما بينهما؛ وذلك بسبب تأخره إلى هذا الوقت، فترك لها "ماضي" المنزل؛ ليمنع نفسه من أن يرتكب شيئًا يساعد على تعقيد الأمور أكثر مما هي عليه، فأخذ سيارته وهو لا يدري إلى أين سيذهب، إلى أن ساقه القدر إلى مكان كان يجلس فيه منذ زمن بعيد مع حبه الأول "شكرات"، وهو تحت شجرة من الأشجار المتواجدة على ضفاف النيل، فهي الوحيدة الباقية من الماضي، وكل الأشياء هناك حتى المعالم على الكورنيش قد تغيرت، فقد مر على حكايتهما أكثر من

خمسة وعشرين عامًا.

جلس "ماضي" على الحجر المتواجد تحت هذه الشجرة التي كانا يجلسان تحتها دائمًا، فهما كانا يأكلان ساندويتشات الفول والفلافل على هذا الحجر قبل أن يذهبا إلى الشركة التي يعملان بها، ثم أغمض عينيه، وكأنه يرى فيلمًا سينيمائيًا يمر أمام عينيه.

يتذكر "ماضي" كل الأحداث التي مرت في الماضي مع "شكرات" منذ أن تعرّف عليها من خلال الجامعة والعمل معًا كمندوبي مبيعات لإحدى الشركات، وكيف جمع الحب بينهما.

كان "ماضي" و"شكرات" يقضيان أكبر وقت سوية في الشوارع والميادين؛ لعرض منتجات الشركة على محلات الملابس، إلى أن عرّفها بأهله، بل كيف فرضها على أهله؟! وخصوصاً أمه وأخواته البنات!.

في هذا التوقيت.. أخوه "مصطفى" -آخر العنقود- كان ما زال صغيرًا، ولكن كان الانتقاد من باقي أفراد الأسرة؛ بسبب علاقتهما ببعضهما، التي وصلت إلى درجة غير لائقة ومحل

شك وشبهة؛ لأنها كانت تقضي وقتًا كبيرًا ومتأخرًا من الليل بحجة أنها تحب السهر مع هذه الأسرة الحنونة والمتماسكة، والتي يحفها الحب والسعادة والدفء من كل جانب.

لكن "شكرات" كل نيتها هو عدم الابتعاد لحظة واحدة عن "ماضي" عشيقها، حتى أصبحت تساعدهم في شئون البيت من الطبخ والمسح والكنس، وكأنها فرد من أفراد هذه الأسرة، حتى وصل الأمر بها أن فرضت نفسها على هذه الأسرة بطريقة تدل على أنها زوجة ابنهم، وليس زميلة أو صديقة له.

فكل هذه التصرفات التي تسلكها "شكرات" مع هذه الأسرة أثار حفيظة وغضب معظم أفرادها، خصوصًا الأم وأخت ماضي الصغرى "أمل"، إلى أن حدث ذات ليلة أن رأت "أمل" هذه الفتاة "شكرات" وهي في أوضاع غريبة، فكانت ترتدي قميص نوم، وكان معها "ماضي" بغرفته؛ مما جعل "أمل" تُصر بأن يطردها "ماضي" من البيت فورًا، وألا تعود مرة ثانية إلى هذا البيت؛ حتى لا يضطرها أن تُبلغ أمه بما يحدث، وفي نفس الوقت مع ارتفاع

الأصوات سمعت الأم هذا الحوار، وجاءت على الفور، وعلمت من "أمل" ما حدث، فوجّهت الأم اللوم والعتاب الشديد لـ "ماضي"، وأمرته أن يقطع علاقته بهذه الفتاة نهائيًا، وإلا سيضطرها أن تطرده خارج البيت فورًا.

قام "ماضي" بتجهيز حقيبة كبيرة له، وجمع فيها ملابسه، وكل متعلقاته الخاصة، وبالفعل.. أخذ "شكرات" وخرج من البيت؛ لأن هذا البيت كان يعلم "ماضي" جيدًا أن له قواعد وأصول، كما أن هذه الأسرة بأكملها لا تقبل أن يفعل هكذا مع بناتهم؛ فهذا ضد أخلاقهم الحميدة، رغمًا من أن "شكرات" تحب "ماضي" حبًا كبيرًا يصل لدرجة العبادة، لكن هذا ليس مبررًا على الإطلاق؛ فالأصول أصول، لا أحد يستطيع أن يحيد عنها مهما كانت درجة القرابة أو العواطف، فكان يجب على "شكرات" أن تحافظ على شرفها وعرضها، وعلى ماء وجهها أمام أسرة حبيبها، وكان لزامًا أيضًا على "ماضي" أن لا يعطيها هذه الفرصة بأن لا تسلمه نفسها، أو حتى تتعرى أمامه، أو حتى ترتدي له الملابس الشبه عارية بدون وجه حق؛ فهي لم تصبح زوجته حتى الآن، كما أنها لم

تحسب أي حساب لهذا البيت الذي توجد فيه، وأن هذا البيت يوجد فيه بنات وشاب صغير، بل والأهم من ذلك كله أنه مخالف لتعاليم الدين والإسلام، كما أن غضب الله لهذه التصرفات والأفعال أشد وأكبر.

الآن ليس أمام "ماضي" غير أنه يذهب إلى "فؤاد" صديق عمره، وسره الأمين، لكي يجد له مكانًا؛ لأن "ماضي" تأكد من أن "شكرات" أصبحت مستعدة أن تعيش معه بأي صورة من الصور، لذلك عقد العزم والنية، وعرض الموضوع على "فؤاد" صديقه الوحيد، وحدثه بأنه يحب "شكرات" بجنون، ولا يستطيع الابتعاد عنها أو العيش بدونها، وأنه يريد منه أن يوفر له سكنًا؛ لكى يختفي فيه بعيدًا عن الأعين، مخافة أن يراهما أحد معًا، وخاصة أن "شكرات" من عائلة صعيدية؛ ولأن فؤاد من عائلة كبيرة، وثرية ويعملون في تجارة الأراضي وبيع وشراء العقارات، فلذلك يستطيع أن يوفر له السكن المناسب.

كان "فؤاد" أيضًا لديه شركة خاصة به تعمل في نفس المجال، فمن السهل عليه أن يوفر له هذا السكن؛ لكى يختفي

فيه هو وعشيقته "شكرات" عن أعين الناس، وقد كان.

_ بقى يا راجل ماتقولّيش على تطور العلاقة بينكم كدا؟

* والله يا فـؤاد كنـــت هـاقـــول لـك، بـس لما أتأكـد مـن حُبي ليها الأول.

ينظر "فؤاد" باستغراب لـ "ماضي":

_ طب اكتب عليها عرفي طيب.

* لأ يا فؤاد بإذن الله هاتجوزها شرعي بإذن الله.

فؤاد" يقنع "ماضي" بأن يقوم بكتابة عقد الزواج العرفي عند محامٍ، يثبت فيه" بأن "ماضي" متزوج من "شكرات" زواجًا عرفيًا؛ فيطلب من "ماضي" صورًا من البطاقات الشخصية، وهو سوف يجهز له هذا العقد ويوقفه على التوقيعات، وبالفعل تم كتابة العقد العرفي؛ تحسبًا لأي شيء سيحدث في المستقبل، ووقتها يستطيع أن يقول أنه متزوجها زواجًا عرفيًا، وهذا هو العقد.

في هذه الأثناء.. أسرة "شكرات" لم يغمض لها جفن، قلقين عليها، وخصوصًا الأم؛ لأن أخوَيها -أي أخوَي "شكرات"-

ما زالا صغيرين، وهما: "تهاني" و "عواد"؛ فالأب والأخ الأكبر في السجن .

لم تعتد "شكرات" المبِيت خارج البيت؛ فهي خرجت من بيتها في الصباح كالعادة للذهاب إلى عملها فى الشركة، وقد أخبرت والدتها أنها سوف تذهب بعد الانتهاء من العمل إلى حفل خطوبة زميلة عزيزة عليها قامت بدعوتها لحضور الحفل منذ أسبوع مضى لكنها نسيت أن تخبر والدتها، والحفل في منزل العروس والمدعوون من الأقارب وبعض الصديقات والمقربين من أهل العروس فقط، وأنها سوف تأخذ الملابس المناسبة للحفل، وأنها سوف ترتديها عند زميلتها في البيت، "هذا ما قالته لوالدتها".

بالفعل أخذت معها حقيبة بها أغراض كثيرة خاصة بها، وخرجت من البيت، وكان بداخلها قرار المبيت خارج بيتها...

_ شكرات ما رجعتش البيت من وقت ما خرجت امبارح!

* إزاااااااي بس؟

_ والله زي ما بقول لك، خرجت امبارح ولسّه مارجعتش.

* يالهووووووي!

هكذا عَلِمت "نوسة" ابنة خالة شكرات، من خالتها "توحيدة"

ظلت نوسة تبحث معهم عن "شكرات"، وذهبت معهم إلى مقر الشركة؛ ليسألوا عنها...

_ استني قبل ما نبلغ البوليس نسأل زميلها "ماضي".

* طب انتِ عارفة تليفونه؟

_عارفه عنوان بيته، ساكن في نفس المنطقة مش بعيد

* يلا نروح له بسرعة مستنيه إيه؟

"هكذا دار الحوار بين "توحيدة" والدة "شكرات" وابنة أختها "نوسة"

في الطريق إلى بيت "ماضي" كانت "نوسة" في صراع كبير، وتردد؛ هل تخبر خالتها عن العلاقة التي بين "شكرات" و "ماضي"، أم تلتزم الصمت ولا تسبق الأحداث؟ ولكن في قرارة نفسها كانت "نوسة" غاضبة، وحزينة؛ لأن "شكرات" لم تخبرها بآخر التطورات التي بينها وبين حبيبها.

_ ماينفعش أتسرع في الحكم عليها.

"قالته نوسة بينها وبينها"

دقّت "نوسة" جرس المنزل، ففتحت "أمل" شقيقة "ماضي"

الصغرى الباب، إذا بها تتفاجىء بأم "شكرات" وابنة خالتها "نوسة" أمام الباب:

_ انتوا مين؟

* احنا عايزين الأستاذ ماضي في موضوع.

- عايزين نسأله عن شكرات بنتي لو يعرف عنها حاجة.

_ بنتك مين دي يا حاجَّة؟ انتي أم شكرات؟

- آه يا بنتي.

_ بنتك دي مش متربية خالص، ايه انتوا ماعندكوش رقابة؟ ايه مافيش حد بيقول لها انتِ بتروحي فين وبتيجي منين؟ بنتك دي واحدة مش هاممها أي شيء في الدنيا!

- عيب يا بنتي كفاية كدا، عيب، احنا ناس صعايدة ما بنعملش العيبة لا سامح الله.

_ العيبة! هاهاهاهاه، بنتك دي مش عاملة حساب ليكم نهائي يا ست الحاجة، ولا تعرف حاجة عن التربية، بنتك كانت هنا، وكمان على طول كانت بتيجي عندنا ليل ونهار، احنا اللي طردناها من هنا، وخدها ماضي وخرجوا، ومانعرفش هما راحوا على فين، روحي يا حاجة دوّري على

بنتك في حتة تانية.

دار الحوار بين أم "شكرات" و "أمل" الشقيقة الصغرى لـ "ماضي"، فأنهت أم "شكرات" الحوار:

_ أنا هابلغ الشُرطة، وهاقول إن أخوكِ هو اللي غواها وخلَّاها تسيب الدار.

فبهمس ووشوشة قالت "نوسة" لوالدة "شكرات":
* كدا انتِ هاتعملي شوشرة لبنتك من غير داعي، واحنا مانعرفش حاجة.

فكان الرد من أم "شكرات" على "أمل":
- على العموم أنا هابلّغ عِمامها وولاد عِمامها في البلد في الصعيد، دول يسدّوا عين الشمس، وهمّا يتصرفوا، يلّا يا نوسة.

"أمل" بامتعاض، وبطريقة بها احتقار:
_ مع السلامة يا اختي انتِ وهيَّ.
وهذا الموقف كان بمثابة الضربة القاضية لـ "توحيدة" -أم "شكرات"-، التي لم تتخيّل أن بنت في عمر أولادها تحدثها

بهذه الطريقة المخزية، وأن التي وضعتها في هذا الوضع الذي لا تحسد عليه هي ابنتها العذراء –"شكرات".